الفصل الرابع

السلوك غير المخل بنظام الفصل

مقدمة :

هناك ألوان من السلوك غير المخل بنظام الفصل يقوم بها التلميذ مثل السرحان وأحلام اليقظة ، والنوم أثناء الدرس ، وإهمال الواجب المنزلي ، وعدم احضار الكتب والأدوات المدرسية ، وعدم الاشتراك الإيجابي في الدرس ، والتزويغ أو التغيب عن المدرسة ، والغش في الامتحان ، والكذب والسرقة ، والتدخين وتعاطي السموم البيضاء ، وأخير التسلط وحب السيطرة . ومن الواضح أن هذه التصرفات أو الألوان من السلوك لا تخل بصورة مباشرة بنظام الفصل أو سير الدراسة ، لكنها تفوت على صاحبها فرصة الدرس والتحصيل مما يؤثر على نتيجته النهائية في آخر العام . وفي السطور التالية سنتناول أهم هذه الأنواع من السلوك ، وكيف يتعامل المعلم معها .

١ ـ السرحان وأحلام اليقظة :

يعتبر السرحان وأحلام اليقظة من أكثر الأسباب شيوعا لانشغال ا لتلميذ عن الدرس في حجرة الدراسة . ويكون هو في واد والمعلم وباقي التلاميذ في واد آخر . والسرحان هو غياب التلميذ بعقله عن عالم الواقع ، وتوارد أفكار وخواطر إلى ذهنه لا يتحكم فيها ولا وجود لها في الحقيقة . أما أحلام اليقظة فهي تشبه السرحان في غياب التلميذ عن دنيا الواقع ، لكنها تختلف عنه في أن الفرد أو التلميذ يتحكم معرفيا في الأفكار والخيالات التي تدور بذهنه . ويكون التلميذ في الحالتين حاضراً في حجرة الدراسة بجسمه ، لكنه غائب عنها بعقله وفكره . وهذا يعني ضياع كثير من فرص تعليمه عليه . وكل إنسان منا يتعرض للسرحان وأحلام اليقظة ، لكن هذا يحدث قليلا للإنسان العادي . لكنها قد تزيد عن حدها وتصبح مرضا في حالة الإنسان غير العادي الذي يريد أن يهرب من واقعه ، أو الذي لا يستطيع تحقيق آماله وطموحاته في الحياة . وتصبح المسألة أكثر خطورة بالنسبة للتلميذ بحكم المرحلة العمرية التي يمر بها ، ولما يترتب عليها من

نتائج وخيمة تهدد مستقبله الدراسي والتعليمي . وقد تهدد مستقبل حياته برمتها . ومن السهل في كثير من الأحيان معرفة الشخص السرحان أو الحالم في اليقظة مما يبدو على وجهه ونظرة عينه . وقد يصعب ذلك أحيانا . ولكن المعلم الحصيف لا يفوته ذلك ، فهو إن لم يدرك ذلك بالنظر فإنه يدركه بأمور أخرى مثل توقف التلميذ عن العمل أو بسكون حركته عندما يوجه المعلم سؤالا إلى الفصل . وعلى المعلم أن يقطع عليه سرحانه وأحلام يقظته على الفور ويعيده إلى مواصلة الدرس منبها إياه . وقد يوجه إليه سؤالا مثل : ما هي آخر جملة قلتها ؟ ولن يستطيع التلميذ بالطبع أن يجيب على هذا السؤال لأنه كان سرحانا أو هائما في أحلام يقظته . عندها ينبهه المعلم إلى ضرورة تركيز انتباهه في الدرس . كما أن المعلم بتوجيهه هذا السؤال وعدم معرفة التلميذ للإجابة يكون قد تأكد من سرحان التلميذ ، ويكون في نفس الوقت قد استخدم العقاب الطبيعي للتلميذ لما تسبب له من حرج أمام باقي زملائه . ويعتبر ذلك رادعا للتلميذ يتعلم منه ألا يعود لعمل ذلك .

٢ ـ نوم التلميذ أثناء الدرس :

قد يحدث أحيانا أن ينام التلميذ أثناء استرسال المعلم في الدرس ، ولايعني هذا أن شرح المعلم ممل وأن التلميذ لا يجد متعة أو اهتماما في متابعته. فالإنسان قد ينام أثناء مشاهدة فيلم ممتع ذهب خصيصا لمشاهدته . وقد يحدث ذلك في المسرح أو في أي مكان . وهناك أسباب كثيرة تفسر هذه الظاهرة منها عوامل الجو والمناخ ونوع الطعام الذي أكله الشخص ، وحظه من النوم ، وحالته الصحية ، ومدى تعبه وإرهاقه الجسمي ، ومدى مناسبة وقت العرض أو المشاهدة. وتصدق هذه الأسباب على التلميذ في الفصل أيضا ، فقد يكون التلميذ قد سهر ليلة الأمس ، أو لم ينم جيدا ، أو ملأ معدته بالطعام في الصباح ، أو يكون مرهقا جسميا لأنه يجهد نفسه أو لايتغذى جيدا ، أو يكون مريضا ، أو يكون جو الحجرة حاراً أو شديد البرودة ، إلى غير ذلك من الأسباب التي لن تغيب عن بال المعلم الجيد . ومن الواضح الآثار السلبية التي تلحق بالتلميذ نتيجة نومه في الفصل . فهو مثل التلميذ السرحان والحالم في اليقظة موجود بجسمه ، غائب

بعقله . وتصبح المسألة أكثر خطورة إذا زادت عن حدها وأصبحت حالة مرضية عند التلميذ . عندها يحتاج التلميذ إلى علاج خاص يخرج عن حدود قدرة المعلم في الفصل . وعندما يلاحظ المعلم تلميذا قد استرسل في النوم أثناء شرحه للدرس فإنه يواصل شرحه كأن شيئا لم يحدث ، ثم يتحرك بجسمه بدون أن يشعر التلاميذ بأي شيئ ويتوجه نحو التلميذ ويهز كتفه ليوقظه من نومه ثم يتركه دون أن يدع له فرصة في الكلام . وعندما يفعل المعلم ذلك يجب ألا يتوقف عن الكلام حتى لا يلاحظ التلاميذ شيئا ، وحتى لا يقطع عليهم الاستمرار في متابعة شرحه الدرس . ثم يتابع ببصره التلميذ ليتأكد من تيقظه ، وليوجه إليه إشارة لها معناها بلغة العين أو النظر . وإذا تكرر حدوث ذلك من نفس التلميذ بعد إيقاظ المعلم له في كل مرة بنفس الطريقة يقوم المعلم بكتابة ورقة صغيرة عليها : أرجو مقابلتي بعد الحصة في حجرتي . ويتركها له على الدرج بعد إيقاظه من النوم ويتحرك المعلم حتى لا يدع له فرصة للكلام . وقد يقوم المعلم بتوجيه تنبيه مسموع له يحمل نفس المعنى الذي تضمنته الورقة المشار إليها . وعند مقابلة التلميذ للمعلم يتعرف على أبعاد المشكلة ، ولماذا ينام التلميذ في الفصل ، فإذا وجد أن الأمر عادي عاد إلى تنبيه التلميذ مع تحذيره بأنه سيستدعي والده في المرة الأخرى ، وإذا كان الأمر يتطلب بالفعل استدعاء ولي الأمر كأن يكون التلميذ لا ينام أو لا يتغذى جيدا ، وجب على المعلم استدعاؤه لمناقشة الأمر معه . وفي الحالة المرضية التي يعجز المعلم عن حلها بنفسه يقوم بتحويل التلميذ إلى طبيب المدرسة أو الأخصائي النفسي أو الاجتماعي .

٣ ـ إهمال الواجب المنزلي :

من الأمور التي تحدث كثيراً إهمال التلميذ لأداء الواجب المنزلي الذي يكلفه به المعلم . وقد يرجع السبب في ذلك إلى المعلم والمتعلم على السواء . فقد يكون المعلم قد كلف التلميذ بعمل فوق طاقته أو أكثر مما يستطيع ، أو غير مناسب لقدرته ومستواه . وفي هذه الحالة يكون للتلميذ عذره في عدم القيام بالواجب المنزلي لعدم استطاعته أو قدرته . وعلاج الأمر واضح بالنسبة للمعلم . فعليه أن يعطي للتلميذ القدر المناسب من الواجب المنزلي ، ولا بأس من تخفيف

العبء مع مثل هذا التلميذ في البداية تشجيعا على أدائه . وإذا كان الأمر يتعلق بالتلميذ فهذا يدل على اهماله وكسله أو عدم توفر الظروف المنزلية التي تساعده على عمل الواجب المنزلي ، وبالتالي الدرس والتحصيل والمذاكرة بصفة عامة . ويستطيع المعلم بسؤال التلميذ عن السبب في عدم قيامه بالواجب المنزلي أن يعرف الأسباب التي حملت التلميذ على ذلك . وفي ضوء تفهم المعلم لهذه الأسباب يستطيع أن يتصرف ويكون تصرفه بتنبيه التلميذ في المرة الأولى وتحذيره في المرة الثانية واستدعاء والده أو ولي أمره في المرة الثالثة لمناقشة الأمر معه ووضع بعض الضمانات التي تكفل حسن أداء التلميذ لواجبه المدرسي .

٤ ـ التزويغ من المدرسة :

يقصد بالتزويغ ترك التلميذ لدورسه في الفصل والتواجد في مكان آخر خارج المدرسة . ويترتب على ذلك تخلف التلميذ عن التعليم ومواصلة الدراسة . ويعتبر التزويغ من الدراسة من أهم مشكلات الإخلال بنظام الدراسة في المدرسة لاسيما في المدرسة الثانوية . وتصدق هذه المشكلة على كل نظم التعليم في عالمنا المعاصر المتقدم والنامي على السواء . ففي انجلترا على سبيل المثال تعتبر هذه المشكلة من أهم المشكلات التي تقلق نظار المدارس والسلطات التعليمية لدرجة أنها تعتبر مشكلة اجتماعية وليس مجرد مشكلة تعليمية . ولذلك يعتبر بعض المربين البريطانيين أن قلة التزويغ من الدراسة مؤشر أهم من نسبة أو مستوى النجاح في الثانوية العامة للدلالة على كفاءة المدرسة . وتشير أحدى الدراسات (Rutter : 1976) إلى أن من أهم الأسباب التي تدفع التلميذ إلى التزويغ في المدارس البريطانية هو :

١ ـ قلة اهتمام التلميذ بالدراسة والرغبة في العزوف عنها .

٢ ـ انشغال الأبوين بالعمل طول النهار وعدم معرفتهم بتزويغ أبنائهم .

٣ ـ استطاعة التلميذ الحصول على عمل مؤقت لبعض الوقت في الأسواق والمحلات وجمع المحصول لاسيما في أوقات اشتداد الطلب على العمل .

٤ ـ انشغال التلميذ مع رفاقه بأنشطة أخرى مثل صيد السمك والأنشطة الرياضية وارتياد دورالملاهي والسينما لاسيما عندما يكون الجو حسنا .

ويستطيع التلميذ التزويغ من الدراسة باختفائه ، بعد تسجيل حضوره ، في الأماكن غير المشغولة في بناء المدرسة أو ملاعبها . وفي مدارسنا العربية يحدث التزويغ بالقفز فوق سور المدرسة أو رشوة الحارس أحيانا أو عدم الدخول إلى المدرسة بعد الحضور إليها . وتصدق الأسباب السابقة للتزويغ على مدارسنا العربية إلى حد كبير . وللتغلب على هذه المشكلة يجب على المسئولين دراسة حالة التلاميذ المعروفين بالتزويغ وتقصي الأسباب التي تحملهم على ذلك . ومن ثم يمكن العمل على تلافي هذه الأسباب أو التغلب عليها . وينبغي أو يشترك الآباء مع المدرسة في مساعدة التلميذ على الانتظام في دراسته وعدم القيام بالتزويغ منها ، ووضع الضوابط الكفيلة بتحقيق ذلك .

٥- الغش في الامتحان :

وهي ظاهرة قديمة معروفة في المدارس . ويزداد حجمها كلما تقدم التلميذ في التعليم لاسيما التعليم الثانوي والجامعي . كما أنه يكثر انتشارها في أوقات امتحانات الشهادات والامتحانات العامة وامتحانات أواخر العام الدراسي . وهي تقتصر على أعداد محدودة من التلاميذ والطلاب . وهم عادة الذين يعتمدون على ذكائهم وفهلوتهم ، ولا يذاكرون دروسهم جيدا اعتماداً على ذلك . أو الذين يهملون في مذاكرتهم وينشغلون بأمور أخرى غير الدرس والتحصيل . وللغش في الامتحان وسائله المختلفة التي يتفنن فيها الطلاب ، منها الاعتماد على من يجاورهم في الجلوس أثناء الامتحان وطلب المساعدة منهم خلسة بعيدا عن أنظار الملاحظين أو المشرفين . وقد تكون هذه المساعدة متفقا عليها بين الطالب وزملائه مسبقا . وبموجب هذه المساعدة يتلقى الطالب بعض مفاتيح الإجابة على السؤال أو المؤشرات الهامة التي توضح له السير في الإجابة . ومنها استخدام أداة للغش، ومن أشهر هذه الأدوات ما يعرف " بالبرشامة " وهي عبارة عن ورقة يختلف حجمها بين الصغر والكبر وتحتوي على تلخيص أهم نقاط مادة الامتحان أو الموضوعات التي تكون مظان الأسئلة . ويتفنن بعض الطلاب في عمل وإعداد هذه "البرشامات" ، وطريقة الاستفادة منها أو اخراجها أثناء الامتحان . ومن أدوات الغش أيضا الكتابة على الدرج الذي يجلس عليه الطالب أثناء الامتحان

، أو الكتابة على بعض أجزاء جسمه مثل اليدين والرجلين . وقد كشفت حالات الغش التي ضبطت والمعلومات المستمدة من مرتكبيها عن هذه الأدوات واستعمالاتها وطرائقها . ومن المعروف أن هناك قواعد وقيوداً مشددة في نظم الا متحانات لإحكام الرقابة عليها ، ومنع التلاعب بنتائجها أو محاولة الغش فيها. وهناك عقوبات رادعة لمن يخالف هذه القواعد والقيود . ومع ذلك يلجأ بعض الطلاب إلى الغش رغم معرفتهم بالمخاطر التي تترتب عليه عند ضبطهم . وهم يقبلون الاقدا ٍ على المخ اطرة تحت ضغط اليأس وعدم وجود بدائل أخرى ، والحرص على نجاحهم في الامتحان . ومن المعروف أن النجاح في الامتحان ليس هدفا في ذاته ، وإنما هو لاختبار المستوى التعليمي الذي وصل إليه الطالب بدون غش أو خداع . وقد ينجح بعض الطلاب في الامتحانات بالغش ويحصلون على الشهادات النهائية . ولكنهم سيجدون من الصعب عليهم شق طريقهم في الحياة أو الحصول على وظيفة مرموقة أو إثبات كفاءتهم في العمل لأنهم يفتقرون إلى هذه الكفاءة بعد أن ضيعوا على أنفسهم فرصة اكتسابها بالدراسة والعمل الجاد بدلا من الغش والخداع في الامتحان . وتكون الشهادة التي حصلوا عليها أشبه بالشيك بدون رصيد في الحساب في البنك . فمثل هذا الشيك لا قيمة له . وإنما يستمد قيمته من اعتماده على رصيد مالي يحقق مصداقيته . وكذلك الشهادة الدراسية تحتاج إلى رصيد علمي يحقق مصداقية الحصول عليها .

وهناك عدة أساليب للتغلب على مشكلة الغش في الامتحانات . منها توزيع درجات النجاح في المادة الدراسية على عدة امتحانات على فترات مختلفة. وهو ما يعرف بأسلوب التقويم التكويني Formative Evaluation. ومنها تنويع أساليب الامتحان بين التحريري والشفهي والعملي . ومنها اتاحة الفرصة للطالب لإعادة الامتحان إذا رسب فيه أو إذا أراد أن يحسن درجته أو تقديره في المادة موضوع الامتحان .

٦ـ الكذب والسرقة :

وهما من الأخلاق الذميمة التي يحرص الآباء والمعلمون على تطهير الأبناء منها . وعندما نتساءل ما الذي يدفع الإنسان إلى الكذب ؟، وما الذي يحمله

على السرقة ؟ نجد تفسيرات وأسباب متعددة منها ما يتصل بالعوامل النفسية ، ومنها ما يتصل بالعوامل البيئية والاجتماعية . وفي مراحل النمو الأولى للطفل لا يكون مدركا لمعنى الكذب أو السرقة . فقد يقول كلاما غير حقيقي ويضفي صفة الحياة على الجماد فيخاطب لعبته ويتحدث إليها . وقد يسطو على شيء ليس له ويستحوذ عليه ، وهو لا يرى فيه اعتداءً على ملكية الآخرين . ولكن عندما ينمو الطفل وتنمو مداركه الأخلاقية يصبح على وعي بمعنى الصدق والكذب ، وأن الصدق مقبول والكذب مرفوض . ويكون أيضا على وعي بإدارك معنى الملكية ، وأن ما له لا يجوز أن يسطو عليه غيره . وبالمثل لا يجوز له أن يأخذ ما ليس ملكه بدون حق . ويستطيع المعلم في معايشته للتلاميذ أن يعرف سلوكهم وتصرفاتهم . وفي ضوء ذلك يمكنه أن يحسن توجيههم . وعندما توجد حالة للسرقة أو الكذب في الفصل عليه أن يتعامل معها بحكمة وروية حتى يتأكد أولا من وجود الحالة بالفعل . ثم يحاول التعرف على أسبابها وبواعثها . ومن ثم التعرف على أسلوب التغلب عليها أو حلها . وينبغي أن يبتعد المعلم في كل الأحوال عن توجيه اتهام مباشر للتلميذ المتهم بالفعل . كما لا ينبغي أن يصمه بأي وصمة أخلاقية حتى لا يكون التلميذ فكرة سيئة عن نفسه وتتعقد مشكلة علاجه وإصلاحه .

٧- التدخين وتعاطي السموم البيضاء :

من آفات تعليم العصر انتشار ظاهرة التدخين وتعاطي السموم البيضاء بين طلاب المدارس والمؤسسات التعليمية لاسيما في التعليم الثانوي . ومن المعروف أن التعليم الثانوي يضم الطلاب في سن المراهقة ، وهي فترة النمو الجسمي السريع وما يصاحبه من إرهاصات نفسية وثورة وتمرد على التقاليد وعلى السلطة عموما ، ومنها سلطة الآباء والمعلمين . ويكون أقوى تأثير على المراهق في هذه المرحلة من جانب جماعة الرفاق " وشلته " التي ينتمي إليها . وبتأثيرها عليه يكتسب بعض العادات السيئة منها " جلد عميرة " أو العادة السرية ، ومنها التدخين وتعاطي السموم البيضاء . وهو عندما يفعل ذلك يكون مدفوعا بالرغبة في تقليد من هم أكبر منه ، أو لحب الظهور بمظهر الرجولة . وعندما تتحكم هذه

العادات السيئة منه تصبح مرضا ملازما له لا يستطيع أن يفلت منه . وكثير من ألوان انحراف الشباب تحدث بمخالطة الأشرار من الأقران . ولذلك أمرنا ديننا الحنيف بالابتعاد عن جليس السوء ومخالطة الجليس الصالح . وللآباء والمعلمين دور هام في الإشراف على الأبناء وحسن توجيههم في جميع مراحل نمو حياتهم لاسيما في مرحلة المراهقة . ومن المعروف أيضا الأضرار الجسمية والنفسية والعصبية والاجتماعية للإدمان على التدخين وتعاطي السموم البيضاء . وقد يضطر المدمن إلى السرقة إذا لم يتوفر لديه المال لإشباع إدمانه . وهذا بدوره يؤثر عليه في انتظامه في الدراسة ، ويعوقه عن مواصلة الدرس والتحصيل بطريقة طبيعية ، وتتعالى شكاوي الآباء والمربين من تزايد هذه الظاهرة وانتشارها بين طلاب المدارس ذكورا وإناثا في مختلف النظم التعليمية في الشرق والغرب على السواء . وتحاول السلطات التعليمية معالجة هذه المشكلات بأساليب متعددة منها إحكام الإشراف على التلاميذ ، وحسن توجيههم ، والقيام ببرامج إعلامية للتوعية ، وعلاج حالات الإدمان التي تتكشف لها ، والتعاون مع الآباء في مساعدة الأبناء . وللمعلمين دور هام أيضا ، فهم المتصلون بصورة مباشرة بالطلاب ويستطيعون ملاحظة سلوكهم ، ومعرفة من يمارس منهم مثل هذه العادات السيئة . لكن ما لم يكن المعلم نفسه قدوة صالحة ، فإن توجيهه للطلاب يكون هباء منثورا . فليس من المعقول أن يكون المعلم نفسه مدخنا ، وينهى غيره عن التدخين لأن فاقد الشيئ لا يعطيه . ويصدق عليه عندئذ قول الشاعر :

يا أيها الرجل المعلم غيره . . . هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى . . . كيما يصحُّ به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا . . . أبدأ وأنت من الرشاد عديم
أبدأ بنفسك فانهها عن غيها . . . فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

٨- التسلط وحب السيطرة :

إذا لا حظنا الأطفال منذ صغرهم نجد أنهم يمارسون درجة من العنف مع بعضهم عندما يلعبون أو عندما يجتمعون معا : فكل الأطفال يظهرون درجة من العدوان والعنف . ولكن ليس الأطفال محبين للسيطرة أو بسط النفوذ . ومع نمو الطفل ونضجه يأخذ العنف أو العدوان صورة متطورة أكثر اتزانا في دفاعه عن نفسه . ومن الأطفال من يكون لديه نزعة البلطجة أو السيطرة وفرض النفوذ على الأطفال الآخرين . ومثل هذا الطفل يجد لذة وإشباعا له في إيلام الآخرين . ونتيجة لهذه اللذة التي يحصل عليها الطفل من ممارسة السيطرة فإن سلوكه يعزز نفسه بنفسه . ولا يشعر هذا الطفل بأي أسف أو ندم نتيجة أعماله ، وتحدث محاولة السيطرة أو بسط النفوذ في أي تفاعل بين التلاميذ عندما يكون أحدهم أقوى من الآخر . أما إذا تساوى الإثنان في القوة فإن الشجار بينهما لا يعتبر فرضا للنفوذ ، وإنما قد يكون اختباراً لفرضه . والصورة العامة للتلميذ الذي يمارس السيطرة هي صورة الولد القوي المخيف الذي يهدد الآخرين بمجرد تواجده أو حضوره . ولكن هذا لا يعني أن كل الأولاد الأقوياء محبون للسيطرة . فليس هناك من الأدلة ما يشير إلى أن الأقوياء أكثر عدوانا من غيرهم . لكن مما لا شك فيه أن التلميذ قوي الجسم يكون له شعبية على نقيض التلميذ ضعيف الجسم . وعندما يكون التلميذ قوي الجسم فإنه يكون قادراً على الدفاع عن نفسه ولا يقع تحت نفوذ الآخرين .

إن النزعة إلى التسلط والسيطرة ليست مقصورة على الأطفال أو الشباب ، وإنما تمتد أيضا إلى الراشدين الكبار . فنحن ككبار لدينا القدرة على بسط النفوذ أو السيطرة ، ونقوم بفعل ذلك أحيانا . وقد يتهمنا الآخرين بأننا نفرض سيطرتنا عندما نصر على نوع معين من السلوك لفترة من الوقت . كما أن النزعة إلى السيطرة ليس قاصرة على الفرد ، وإنما تمتد إلى الجماعة أو المجموعات التي تتكون من أفراد محبين للسيطرة ينضمون معا . كما أن نزعة السيطرة لا تقتصر على الذكور ، وإنما تمتد إيضا إلى الأناث ، ويصدق عليهن عندئذ ما يصدق على الذكور . بيد أن انتشار هذه الظاهرة بين البنات أقل منها عند البنين .

أنواع السيطرة أو فرض النفوذ :

تأخذ السيطرة وبسط النفوذ صوراً وأشكالا متعددة من أهمها :

١ - السيطرة الجسمية : وهي أول ما يتبادر إلى أذهاننا لأنها عامرة بصور الأقوياء الذين يعتدون على الضعفاء . كما أن السيطرة الجسمية أوضح من صور السيطرة الأخرى ، ونتائجها تكون ظاهرة للعيان بالنسبة للضحية وما يصيبها من جروح أو كدمات أو إسالة دماء أو كسور أو خربشة أو خدوش وما شابه ذلك . وكثير من ممارسات فرض النفوذ تحدث في الخفاء . فنغز التلميذ الضحية في جنبه باستمرار أو " قرصه " ، وهو واقف في الصف أو الركل المستمر له بالقدم أسفل المقعد وهو جالس أثناء الحصة هي أمثلة تحدث في الخفاء ولا يستطيع أحد أن يلاحظها .

٢ - السيطرة اللفظية : تعتمد السيطرة اللفظية على استخدام الأساليب اللفظية للعنف من تهديد ووعيد وإرهاب فكري وعقلي ، وإطلاق الأسماء للتندر على الضحية والتقليل من شأنها وما شابه ذلك . ويكون تعامل التلميذ الضحية مع السيطرة اللفظية أكثر نجاحا وتوفيقا من السيطرة الجسمية . وربما يكون قد حصل على نصيحة من الكبار أو من والديه بأن الكلام لايؤثر على الإنسان ، بل يطير في الهواء ولا يلصق بالجسم . ومن هنا يسهل تجاهله وتناسيه . بيد أن تكرار حدوثه قد يسبب ألما نفسيا للضحية لاسيما عندما يصل إلى التهديد والوعيد .

٣ - السيطرة بالابتزاز : قد تصل صور السيطرة إلى ابتزاز التلميذ الضحية وأخذ نقوده أو ممتلكاته بالقوة تحت التهديد باستخدام العنف أو كشف عوراته ونقط ضعفه أو ترويج الإشاعات عنه . وقد يتعدى الابتزاز الأمور المادية إلى أمور أخرى مثل مطالبة الضحية بتنفيذ أمر ما ، أو حل الواجب المنزلي للمعتدي وما شابه ذلك .

٤ - السيطرة بالعزلة والمقاطعة : وهي صورة أخرى من صور بسط النفوذ . وذلك عندما يعمل التلميذ المعتدي ومن معه على عزل التلميذ الضحية ومقاطعته وعدم اشراكه في أي أنشطة معهم ، وهذا قد يسبب إيلاما للتلميذ الضحية

لأنه ينشد من وجوده في المدرسة تحقيق انتمائه للآخرين وتكوين صداقات وعلاقات ودية معهم . واللعب والتزاور معهم .

٥ ـ السيطرة بالإشارة : من الإشارات ما يحمل معنى محاولة السيطرة وفرض النفوذ . فعندما يضم التلميذ المعتدي قبضة يده ملوحا بها للتلميذ الضحية يكون معنى ذلك التهديد والوعيد ويحمل الضحية على الشعور بالخوف. ومن الأمثلة الأخرى العض على الشفتين أو تشكيل الأصبعين " السبابة والوسطى " على شكل " ٨ " مع تحريكهما إلى أعلى وأسفل ، أو ثني الإبهام إلى الوراء في وضع رأسي وتحركها إلى الأمام والخلف ، أو إصدار حركة أو إشارة بالعين أو وضع السبابة أفقيا على الأنف مع تحريكها إلى الأمام والخلف ، وهي إشارة تستخدم أحيانا مع " الأخرس " لحمل رسالة تهديد له . ومع أن هذه الإشارات تصدر عمداً عن التلميذ المعتدي فإنه من الصعب ملاحظتها لأنه يتخير أنسب الظروف للقيام بها عندما يكون في مأمن ، وبعيدا عن مراقبة المعلم أو أي مسئول آخر . ويكون لها تأثيرها السيء في نفس الضحية ، لأن مما يؤلم الإنسان ويخيفه مجرد الشعور بأنه مهدد .

التسلط وفرض النفوذ في المدرسة :

من الملاحظ أنه حيثما يجتمع معا عدد من الأطفال يظهر من بينهم من يظهر عدوانا واضحا . ومن هنا يمكن القول بأن فرض النفوذ يحدث في كل المدارس من مختلف الأعمار والمراحل ، ولا ينبغي لمدرسة أن تنكر ظاهرة فرض النفوذ أو تتجاهلها . فليس معنى حدوثها في الخفاء عادة أنها غير موجودة . ذلك لأن التلميذ المعتدي كما أشرنا يتخير أحسن الظروف التي لا يراه فيها أحد. والغريب أنه يعرف أن سلوكه العدواني التسلطي غير مقبول . ولذلك فإنه يتفنن في عدم ضبطه متلبسا . كما أن الضحية تشعر بالخزي والخوف والجبن في إبلاغ المسئولين بالأمر . إن في كل مدرسة كثيرا من الأماكن ودورات المياة والممرات الخلفية والأماكن المعزولة وغيرها حيث يستطيع المعتدي ممارسة سلوكه العدوان . فمن شبه المستحيل إذن أن تقاوم المدرسة فرض النفوذ بزيادة عدد المشرفين لأن

ذلك لن يقضي عليه . ومن تجارب الدول الأخرى نجد أن أحسن طريقة لمقاومة مشكلة بسط النفوذ هي أن يكون كل تلميذ في المدرسة على وعي بماذا يفعل عندما يتعرض لمحاولة من هذا النوع . وهو ما يتطلب من المدرسة برنامجا للتوعية والتوجيه لكل التلاميذ وتنبيههم إلى عدم الخجل أو التردد أو الخوف في إبلاغ المسئولين بالمدرسة على الفور . وبهذه الطريقة إلى جانب إحكام الإشراف المدرسي استطاعت كثير من المدراس التغلب على المشكلة إلى حد كبير .

خصائص التلميذ المتسلط أو محب السيطرة :

هناك عدة خصائص مشتركة تميز التلاميذ الذين يقومون بفرض سيطرتهم على الآخرين . وهذه الخصائص يمكن أن ينظر إليها على أنها الأسباب التي تؤدي بهم إلى عمل ذلك . ومن أهم هذه الخصائص ما يأتي :

١ - أنهم يميلون إلى العدوان بدرجة زائدة وليس لسلوكهم حدود في ذلك .

٢ - أن لديهم نزعة قوية للسلطة والقوة والسيطرة على الآخرين .

٣ - أنهم مغتربون عن العالم وينظرون إلى الناس نظرة عدائية .

٤ - أنهم لا يدركون أن فرض السيطرة على الآخرين عمل خاطئ .

٥ - أنهم لا يتعاطفون مع مشاعر ضحاياهم .

٦ - أنهم يتخيرون ضحاياهم من بين التلاميذ الضعاف جسميا وشخصيا لأنهم فريسة سهلة بالنسبة لهم .

٧ - أنهم يلقون بتبعات أعمالهم على الآخرين ويرون أن التلميذ الضحية يستحق مايجرى عليه .

وهذه الخصائص السابقة يمكن أن يحدث لها تعزيز وتدعيم بعوامل خارجية من أهمها : أنهم لم يردعوا منذ البداية على سلوكهم . و الآباء قد يشجعون أطفالهم منذ الصغر على عدم الوقوف عند حد في سلوكهم ويتركون لهم الحبل على الغارب . وقد يكونون قد تعرضوا لتجارب قاسية وعنف وقسوة وطفولة غير سعيدة في بداية حياتهم بما يفقدهم الإحساس نحو أنفسهم ونحو الآخرين ، ويتولد لديهم الكراهية والعداء لكل الناس . كما أن إحساسهم بخوف الآخرين منهم

وعمل ألف حساب لهم يعطيهم شعورا بالمكانة والهيبة مما يحملهم على تكرار سلوكهم ليشعروا بهذه المكانة والهيبة دائما .

خصائص التلميذ الضحية :

هناك خصائص مشتركة للتلاميذ الذين يقعون ضحية التسلط وفرض النفوذ ، وهي غالبا نقيض أو عكس الخصائص السابق الإشارة إليها لخصائص التلميذ المعتدي الذي يفرض سيطرته . ومن أهم هذه الخصائص شعورهم الشديد بالقلق وعدم الأمان وتدني نظرتهم إلى أنفسهم وهدوئهم وحساسيتهم ، وحرصهم وقلة أصدقائهم ، واتجاههم السلبي نحو العنف . وهذه الخصائص تدعمها عوامل خارجية منها التوقعات العالية غير الواقعية التي يتوقعها المعلمون والآباء من هؤلاء التلاميذ . ومنها سوء معاملة الآباء للطفل منذ الصغر بالعقاب الزائد أو الحماية الزائدة ، وتربيته على الخوف والجبن . ومنها عدم تقبل الآباء والرفاق لهم مما يشعرهم بالدونية .

ويكون التلميذ ضحية التسلط وحب السيطرة من التلاميذ الوادعين أو الضعفاء عادة . وقد تكون الضحية من البنين أو البنات على السواء في مختلف مراحل التعليم . وتعاني الضحية في صمت من آلام نفسية وجسمية لفترة طويلة، وتفقد الثقة بنفسها كما تتعرض للأحلام المزعجة والحالات العصبية . وقد تفكر في الموت والانتحار ، وقد تقدم على ذلك بالفعل . ولا تكشف عن ذلك للمسئولين إلا بعد وقوع الكارثة . ويقع الاعتداء على الضحية عادة خلال الفسح أو الألعاب في الأماكن شبه المعزولة أو البعيدة عن الرقابة أو غير المضاءة في المدرسة مثل الممرات ودورات المياة والملاعب والساحات والبوفيه وحديقة المدرسة .

وعلى المدرسة لتلافي هذه المشكلة أن تضع نظاما جيدا للإشراف لاسيما بالنسبة للأماكن التي سبقت الإشارة إليها ، وفي الأوقات والفترات التي يكون فيها التلاميذ أحراراً خارج فصول المدرسة . كما ينبغي أن تتعامل مع المشكلات التي تحدث بمنتهى العناية والاهتمام والحزم . وللمعلمين دور كبير في التعامل مع مثل هذه المشكلات بحكم معرفتهم بالتلاميذ . ويجب ألا يسمح المعلم لأي تلميذ بالاعتداء اللفظي أو الجسمي على أي تلميذ آخر . وإذا اشتكى تلميذ من تهديد

الآخرين له بصورة متكررة يجب أن يوضع تحت المراقبة والإشراف ومصاحبة أحد المشرفين له لاسيما خلال فترات الفسح والراحة حيث يجتمع التلاميذ بعيدا عن الدراسة . وهذا يتم بالطبع عندما تفشل محاولة إيقاف المعتدي عن تعديه واستخدام الأساليب النظامية معه وقد يصل ذلك إلى حد الفصل مؤقتا من المدرسة .

الضحية غير المستسلمة :

من التلاميذ الضحايا لفرض النفوذ من لا يستسلم للأمر الواقع ، وإنما يحاول أن يرد الصاع صاعين عند الاعتداء عليه حتى ولو تعرض للأذى نتيجة لذلك . وهو يجمع بين صفات المعتدي والضحية . فهو لا يرضى بالاستسلام ، وقد يحاول الاعتداء على تلميذ آخر أضعف منه على طريقة " خذ بثأرك من جارك " . ومثل هؤلاء التلاميذ يكون لهم نشاط زائد ولا يكفون عن الحركة ولا يركزون انتباههم على شيئ . وقد يكونون غير ناضجين ومكروهين من الآخرين بما فيهم المعلمون لأنهم يخلقون التوتر والقلق .

تصنيف التلاميذ المعتدين والضحايا لمشكلة التسلط وحب السيطرة :

أ - التلميذ العادي أو المتوسط : لا هو بالمعتدي ولا هو بالضحية .

ب - التلاميذ المعتدون وأهم خصائصهم :

- الأقوى جسميا .
- نشطون .
- يفرضون أنفسهم .
- من السهل استثارتهم .
- يسعدون بالمواقف العدوانية .
- لديهم اتجاه إيجابي نحو السلوك العدواني .

جـ - التلاميذ المعتدون القلقون وأهم خصائصهم :

- أكثرهم من الذكور .
- تنقصهم الثقة في النفس .
- يفتقرون إلى الصفات التي تحبب الآخرين فيهم .
- غالبا ما يكون لديهم مشكلات أسرية .
- يفتقرون إلى التركيز والإنجاز .
- لا يشعرون بالأمان ، وغير محبوبين .
- يعانون من مشكلات تعليمية .

د - التلاميذ الضحايا وأهم سماتهم :

- أنهم سلبيون
- تنقصهم الثقة في النفس .
- غير محبوبين .
- ضعاف جسميا وأصغر حجما من معظم التلاميذ .
- لا يشتكون دائما .

هـ - التلاميذ الضحايا المدافعين عن أنفسهم وأهم سماتهم :

- أكثر من الضحايا الآخرين نشاطا وثقة بالنفس وفرضا لأنفسهم .
- يستثيرون التلاميذ المعتدين .
- يحاولون أن يردوا الصاع صاعين للمعتدي حتى ولو تعرضوا للأذى .
- يثرون مشكلات إدارية متعددة في كثير من الأحيان .

و - التلاميذ المعتدون من الضحايا وأهم سماتهم :

- أنهم يعتدون ويقعون ضحايا للعدوان في نفس الوقت .
- أقل التلاميذ شعبية على الآخرين .
- أقوى عادة من ضحاياهم .
- أكثر فرضا لأنفسهم من ضحاياهم .

- يسهل استثارتهم .
- كثيرا ما يثيرون الآخرين .

مشكلة التسلط وحب السيطرة من منظور مقارن :

تنتشر ظاهرة التسلط وحب السيطرة في مختلف النظم التعليمية . فالدراسات التي أجريت في الدول المختلفة منها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وكندا والدول الاسكندينافية واليابان وغيرها قد كشفت عن أن ما بين ١٠٪ و ٢٣٪ من الأطفال في المدارس يمارسون فرض النفوذ أو يكونون ضحية لفرض النفوذ . وتشير الاحصاءات الأمريكية لعام ٩٦ - ١٩٩٧ أن مدرسة من كل عشر مدارس أمريكية قد عانت من جرائم عنف التلاميذ بما في ذلك الاغتصاب والسرقة واستخدام الأسلحة النارية . وهذا يعني أنها مشكلة لا يستهان بها لاسيما أنها تؤثر تأثيرا خطيرا على الضحية جسميا ونفسيا قد يصل في بعض الأحيان إلى القتل أو الانتحار كما أشرنا . وتفتقر نظم التعليم العربية لمثل هذه الدراسات وربما كانت موضع بحوث مقبلة .

التجربة الكندية :

من التجارب التي يستفاد منها في التعامل مع مشكلة فرض النفوذ والسيطرة بين تلاميذ المدرسة التجربة الكندية . فقد أجريت في مدينة " تورينو " دراسة لهذه المشكلة في عدة مدارس ابتدائية ودور للحضانة . وقد شملت الدراسة " ٤٥٧ " تلميذا تتراوح أعمارهم بين سني الثامنة والرابعة عشرة . واستهدفت دراسة حجم المشكلة وأبعادها ومشكلات الضحايا من التلاميذ الذين يقعون فريسة لفرض النفوذ . كما استهدفت التعرف على آراء التلاميذ واتجاهاتهم وتجاربهم مع فرض النفوذ والوقوع ضحية له . وكذلك تصورات المعلمين والآباء لهذه المشكلة . وقد استخدم في الدراسة استبيان يملأ ذاتيا بمعرفة التلميذ مماثل للاستبيان الذي استخدمته الدول الاسكندنافية في مدارسها . كما استخدمت

أيضا إلى جانب الاستبيان الطريقة الكيفية مع التلاميذ الصغار . وتقوم هذه الطريقة على أساس قراءة قصص عن فرض النفوذ في المدرسة يتبعها مناقشة أو القيام بتمثيل الدور . كما عقدت مناقشات مع المعلمين والآباء . وقد أسفرت نتائج التجربة عن مؤشرات هامة مفيدة أمكن الاستفادة منها .

التجربة البريطانية :

تعتبر ظاهرة التسلط وحب السيطرة وما يصاحبها من عنف من أخطر المشكلات في المدارس البريطانية لدرجة أنه توجد الآن كتب كاملة تتناول تحليل أبعاد المشكلة في واقعها في المدارس البريطانية . وتصل هذه المشكلة في بريطانيا إلى درجة قد أن نجد لها مثيلا في المدارس الأوربية . وتدرك السلطات التعليمية البريطانية خطورة هذه المشكلة التي تؤدي أحيانا إلى القتل أو الانتحار. وقد نشرت الصحف البريطانية بالفعل بعض حوادث القتل والانتحار التي ارتكبت نتيجة هذه المشكلة . وتنتشر هذه الظاهرة بين البنين والبنات ، وتزداد حدتها في المدارس الثانوية . ويكون ضحاياها من بين التلاميذ والمعلمين على السواء . فقد يتعرض المعلمون للضرب والإيذاء من جانب التلاميذ وإلحاق الضرر بهم وبسياراتهم . ويكون العنف موجها بدرجة أكبر إلى المعلمات . وفي بعض حالات العنف مع المعلمين استخدم التلاميذ التهديد بالسلاح والمطاوي والسكاكين والخناجر واستخدام اللغة الوقحة . وقد اهتزت أجهزة الإعلام البريطانية في شهر يناير من عام ١٩٩٨ على خبر مفاده أن تلميذا استعمل أشعة الليزر في تسبيب العمى المؤقت للمعلم . وقد نقل المعلم إلى المستشفى للعلاج . وقد سجلت ٦٤ حالة عنف وتسلط في فترة خمسة شهور كما يتضح من بعض الإحصاءات البريطانية . هذا على الرغم من أن السلطات التعليمية قد قامت في سبتمبر ١٩٩١م بصياغة سياسة للتعامل مع العنف في المدارس . وبموجب هذه السياسة تناقش مشكلات عنف التلاميذ وتسلطهم مع آبائهم . كما تقدم المساعدة للتلميذ أو عضو هيئة التدريس الضحية . ومن حق التلميذ إبلاغ سلطات المدرسة عن أي حالات عنف تقع ضدهم من التلاميذ أو المعلمين .

وتشير إحدى الدراسات إلى أن ما يقلق بال بعض المعلمين في بريطانيا هو اتجاهات بعض الآباء نحو التسلط وفرض النفوذ . فهؤلاء الآباء قد يصطفون أمام سور ملعب المدرسة أثناء لعب التلاميذ ويصيحون على أبنائهم : إضربه قبل أن يضربك (Galtan : p.149) . وهذا يذكرنا بموقف بعض الآباء نحو أبنائهم في بلادنا العربية . فكثيرا ما يوصي بعض هؤلاء الآباء أبناءهم بأن يردوا الصاع صاعين لمن يعتدي عليهم . ويذكرونهم بالمثل العربي " من لم يتذأب أكلته الذئاب " .

حجم المشكلة :

إن مشكلة بسط النفوذ من تلميذ قوي على آخر ضعيف تحدث كثيرا في المدارس البريطانية . فقد ذكر مايقرب من ٧٠٪ من عينة التلاميذ أنهم تعرضوا لهذه المشكلة مرة أو أثنين على الأقل خلال الفصل الدراسي . كما ذكر ٨٪ منهم أنهم كانوا يقعون ضحية لها كل أسبوع أو ما يقل عن ذلك . وكانت النسبة بين الضحايا متساوية بين البنين والبنات . وأظهرت الدراسة أيضا أن الأطفال الصغار كانوا أميل إلى التبليغ عند تعرضهم للمشكلة أكثر من الأطفال الأكبر سنا . وعندما سئل التلاميذ عما إذا كانوا مِّن التلاميذ الذين يفرضون نفوذهم على الآخرين أجاب ما يقرب من ٤٠٪ من عينة التلاميذ بأنهم مارسوا ذلك على بعض التلاميذ مرة أو مرتين على الأقل خلال الفصل الدراسي . وكان عدد التلاميذ الذكور الذين مارسوا بسط النفوذ على الآخرين وبصورة منتظمة أكثر من عدد البنات بثلاث مرات . وكانت ساحات الملاعب والطرقات والممرات أو المعابر، الأماكن المفضلة التي تحدث بها المشكلة عادة . وقد كشفت الدراسة عن اختلاف المعلمين والآباء عن التلاميذ في تصورهم لحجم المشكلة وتكرار حدوثها . فقد قلل الآباء والمعلمون من حدوث المشكلة بين التلاميذ .

وعندما سئل التلاميذ عن محاولات التدخل لحل المشكلة أو للحيلولة دون اكتمال حدوثها ، أجاب ما يقرب من " ثلث العينة " بأن مجموعة الرفاق كانوا كثيرا يتدخلون بسرعة لوقفها ، و١٣٪ ذكروا أن مجموعة الرفاق كانوا يتدخلون أحيانا . وعندما سئلوا عن استجابتهم شخصيا عند حدوث المشكلة أجاب ٤٣٪

من التلاميذ بأنهم حاولوا تقديم المساعدة ، و٣٣٪ قالوا إنهم لم يفعلوا شيئا وكان ينبغي عليهم عمل شيئ . وأجاب ٢٤٪ من التلاميذ بأنهم لم يفعلوا شيئا لأن الأمر ليس من مسئوليتهم . وكانت نظرة الغالبية العظمى من التلاميذ إلى مشكلة فرض النفوذ سلبية . فعندما سئل التلاميذ عن شعورهم عندما كانوا يشاهدون تلميذا يقع ضحية لفرض النفوذ ، أجاب ٦١٪ منهم بأنه منظر لا يسر على الإطلاق ، وأجاب ٢٩٪ منهم بأنه منظر لا يسر إلى حد ما ، وأجاب ١٠٪ منهم بأن شعورهم لم ينفعل كثيرا بالموقف . وعندما سئل التلاميذ عن مدى تدخل المعلمين لفض المشكلة أجاب ربع العينة بأن المعلمين لم يتدخلوا دائما ، وأجاب ١٤٪ منهم بأنهم كانوا يتدخلون أحيانا . ولم يذكر أحد منهم بأنه لم يتدخلوا مطلقا . وعندما سئل المعلمون والتلاميذ عما يستطيع المعلم أن يفعله إزاء المشكلة أجاب معظمهم بأن المعلمين يتوجب عليهم التحدث مع التلاميذ المتورطين في المشكلة . وأجاب ما يقرب من نصف عدد المعلمين والتلاميذ أنه ينبغي على المعلم أن يعاقب التلميذ الذي يقوم بفرض نفوذه على الآخرين . وكان عدد التلاميذ أقل عن عدد المعلمين بالنسبة لاقتراح قيام كل من التلميذ المعتدى والضحية بالتحدث معا .

العنف ضد المدرسة :

نشهد في السنوات الأخيرة تزايد استخدام العنف ضد المدرسة . ففي بريطانيا مثلا اهتز ضمير المجتمع على نبأ مصرع ناظر مدرسة طعنا بالسكين لأنه تدخل في فض نزاع بين أحد تلاميذ مدرسته وآخرين .كما عمت المجتمع موجة من الحزن عندما فتح شخص النار من بندقيته على أطفال مدرسة مما أدى إلى مقتل بعض الأطفال . وفي أمريكا اهتزت أجهزة الاعلام في مارس ١٩٩٨ على جريمة قام بها طفلان بإطلاق النار على زملائهم مما أدى إلى مقتل مُدَرسَة وأربعة تلاميذ . واتضح أن الوالدين دربا طفليهما منذ الصغر على الأسلحة النارية . وفي مصر طالعتنا الصحف المصرية في مارس ١٩٩٨ بخبر قيام أربعة تلاميذ بحرق مدرستهم بمنطقة الهرم بعد انذار المدرسة لهم بالفصل لكثرة تغيبهم عن المدرسة .